النسق والتناسق وأثره في التفسير:
"سورة التين - نموذجاً"

أحمد إسماعيل نوفل *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٥/٨/٤م **تاريخ قبول البحث:** ٢٠٠٦/٥/٧م

ملخص

هذا البحث يعالج مشكلة تشعب الأقوال وتشتت وجهات النظر في تفسير سورة التين، ويهدف إلى وضع ضابط للفهم، وقاعدة للنظر في كتاب الله، هي: "قاعدة النسق"، بمعنى: أن السورة وحدة واحدة لا تشتت فيها ولا اختلاف، وينبغي أن تكون المعاني المطروحة منسجمة مع هذا النسق، وقد اخترت سورة من قصار المفصل؛ لتسهل السيطرة على النقول، وتتركز وجهة النظر في إثبات المقصود من البحث.

Abstract

This research deals with the issue of having several different interpretations of the understanding of Surat Al- Tin. It aims at presenting a new approach to understanding the Holly Book which is based on the concept of text and texuality : looking at the sura as a whole unit trying to interpret meaning in this context.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

فقد امتاز القرآن على غيره من الكتب المنزلة وعلى سائر الكلام بطريقة فريدة في العرض، وتسلسل الآيات، واختيار التعبيرات، ومع أنه نزل مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة فإنه قد جاء وحدة واحدة، ونسقاً فريداً في ترتيب آياته وسوره، وجاء مترابطاً من أوله إلى آخره، هذا الترابط والتكامل يعرف بالنسق والتناسق . ونستطيع أن نفهم النص الكريم الوارد من خلال نسقه وسياقه، ونحل بعض الإشكالات ونوجه الاختلافات في ضوء هذا النسق كذلك.

وأحببت في بحثي هذا قصر الجهد على سورة التين من قصار المفصل، لتسهيل السيطرة على النقول، لأن السورة على قصرها قد تشعبت الأقوال فيها، ونيفت في التين على العشرة.

وقد حاولت جهدي الانطلاق من قاعدة النسق

* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

المذكورة. فهي أي السورة نسق واحد وخيط متصل لا انقطاع فيه ولا تعقيد.

والسورة من سور القسم، إذ أقسمت بأربعة أشياء : ثمرتين ومكانين، فما السر في الجمع بينهما؟ ثم ما العلاقة بين هذه المقسم بها والحقيقة المقسم عليها؟ وما هو المقسم عليه أصلاً؟

ومما لفت نظري في التفاسير، وحدا بي إلى كتابة هذا البحث، الأقوال الغريبة التي سيقت في تفسيرها، منها ما ورد في كشاف الزمخشري وغيره من أقوال تفسير التين بأنه رمز لجبال بين حلوان (بمصر) وهمدان (بفارس). وماذا في حلوان وهمدان مما ينسجم مع نسق السورة؟ إن القرآن يتحدث عن أماكن محددة لأغراض محددة، تتسق مع مقاصد السورة، فلا ينبغي أن يفسر نص خارج هذا الإطار، وبعيداً عن هذا النسق.

ومثال آخر: عندما نفسر قوله تعالى: {**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** } بأن معناه: منتصب القامة – قلت: هذا ليس الأكثر اتسا قاً مع نسق السورة . أو القول بأن التين تذكير بالعهد الأول للبشرية عندما غطى آدم عورته بورق التين، كما قال محمد عبده وتلميذه المراغي. وهذا اعتماد منهم على الإسرائيليات.

فنسق السورة عن الدين، وفطرة الدين، والمحافظة عليها من قبل المؤمنين أو الارتكاس عنها من قب ل الكافرين، وهذا ما يترتب عليه الجزاء عند أحكم الحاكمين، في يوم الدين، فمن الذين وما الذي بعد هذا يكذبك– أيها النبي– بالدين؟

هذا هو النسق المحكم المتين للسورة، وفي ضوئه نفسرها ونفهمها أحسن الفهم لا أي فهم، فلا يليق بأحسن الحديث وأطيب الكلم إلا أحسن ا لفهم، وليس هذا الجهد تفسيراً للسورة، وإن التقى مع التفسير، وكنت أحاول أن استقصي أكبر عدد من التفاسير، وإن كان هذا في التوثيق جاء مثقلاً أو ثقيلاً.

وهذا البحث مقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. كان التمهيد مدخلاً إلى الموضوع من خلال التعريف با لنسق والتناسق، والحديث بإيجاز عن السورة، والمبحث الأول كان تفصيلاً للقول حول المقسم به من حيث: معناه وترتيبه وأقوال العلماء فيه، وتحدثت في المبحث الثاني عن المقسم عليه، وعلاقته بالمقسم به، وذكرت في المبحث الثالث القول المختار في تفسير السورة الكريمة، وختم ت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

وبعد فهذا هو جهدي في فهم هذه السورة الكريمة وآياتها، وهو جهد المقل الضعيف، وقد رجعت إلى أزاهير التفاسير وعيون الأقاويل، وبينت ما اعتقدته صواباً، سائلاً الله صواب الفهم للآيات، إنه سميع مجيب الدعوات.

تمهيد: بين يدي الموضوع

تعريف النسق والتناسق لغة واصطلاحاً

النسق في اللغة:

قال الزمخشري في الأساس: " نسَق الدر وغيره، ونسّقه، ودر مَنسوق ومُنَسَّق ونَسَقٌ، وتنسقت هذه الأشياء وتناسقت.

ومن المجاز: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسق ونظام. وثغر نسق. وقام القوم نسقاً. وغرست النخل نسقاً. ويقال: الكواكب الجوزاء النَّسَقُ"[١].

وجاء في اللسان ما نصه : "النسق من كل شيء : ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسقه تنسيقاً، ويخفف. قال ابن سيده: نسق الشيء ينسقه نسقاً ونسّقه: نظمه على السواء. وانتسق هو وتناسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض، أي : تنسقت. والنحويون يسمون حروف العطف : حروف النسق؛ لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحداً . وروي عن عمر τ قال: ناسقوا بين الحج والعمرة، أي : تابعوا. وثغر نسق إذا كانت الأسنان مستوية، قال أبو زبيد: بجيدِ ريمٍ كريمٍ زانه نسَق..."[٢].

وقال الفيروزأبادي : "نَسَقَ الكلام : عطف بعضه على بعض . والنَّسَقُ: ما جاء من الكلام على نظام واحد. ومن كل شيء، (أي: النسق من كل شيء): (ما كان) على طريقة نظام عام..."[٣].

وفي الوسيط: "نسق الشيء نسَقاً : نظمه. ويقال: نسق الدر، ونسق كتبه، ونسق الكلام :(عطف بعضه على بعض)، وأنسق فلان : تكلم سجعاً ، وناسق بين الأمرين: تابع بينهما ولازم . نسقه: نظمه، اتسقت الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض، يقال : نسقها فاتسقت، تنسقت الأشياء: انتسقت. يقال: تناسق كلامه، وكلام نسق على نظام ، والنسَق: حروف العطف ،

والنسَق: ما كان على نظام واحد، يقال : زرعت الأشياء نسَقاً"[٤].

أقول: وقد وردت هذه المادة بمعانيها في قوله I: [والقمر إذا اتسق][٨: الانشقاق]، اتسق، أي : اجتمع واستوى، على قول ابن عباس . وقال قتادة: إذا استدار . قال ابن كثير : ومعنى كلا مهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر"[٥].

النسق اصطلاحاً:

قال سيد قطب (رحمه الله) في التناسق ومعناه : "والتناسق في التعبير، هو : أن يهيئ الأديب – لحظة التعبير – للألفاظ نظاماً ونسقاً وجواً يسمح لها بأن تشع شحنتها من الصور والظلال والإيقاع . وأن تتناسق ظلالها وإيقاعها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه، وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية . وألا يتم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده"[٦].

"والتناسق في الأسلوب، هو: أن يتم تنظيم العبارات فيه على الأساس السابق ذكره، بحيث يكون متلائماً على طريقة واحدة ونظام واحد. متناسق النظم متناسب الفقرات، حسن الإيقاع.

[ألوان التناسق]:

والتناسق بعد ذلك ألوان ودرجات، منها:

- التنسيق في تأليف العبارات بتخير الألفاظ، ثم نظمها في سياق واحد يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها..
- الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في سياق خاص (نسق)..
- التسلسل المعنوي بين الأغراض..
- التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص..
- تناسق التعبير مع الحالة المراد تصويرها..
- التناسق بين أجزاء الصورة المرسومة، وتناسق الموسيقى فيها، وتناسق لونها معها، وإطارها مع أجزائها.. إلى غير ذلك من ألوان التناسق.." [٧].

"والتناسق في القرآن بلغ الإعجاز في ألوانه ودرجاته وآفاقه، فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبر، إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى توافق في الموسيقى إلى افتنان في الإخراج..

وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز"[٨].

مكية السورة أو مدنيتها:

جلّ المفسرين يقولون بمكيتها [٩]، وإنها لكذلك؛ فسور القسم من حيث هي نسق كلها مكية، أعني : السور المفتتحة بالقسم بدءاً من ا لصافات و انتهاء بالعصر بترتيب المصحف، وهي من حيث العدد : اثنتا عشرة سورة، والسور المفتتحة بلا أقسم والسورة المتضمنة لـ: [لا أقسم] كلها مكية؛ فالقسم يتسق مع حالة التكذيب التي كانت في مكة، أضف إليه أن موضوع السورة ناطق بمكيتها بلا ريب[١٠].

ولكن زعم بعضهم بأنها مدنية، وهو زعم لا يسنده نقل، ولا يتسق مع مضمون السورة، ولا مع نسق سور القسم المكية، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) فيما نقله عنه قتادة [١١]، وفي اعتقادي : أنه لا يعتمد؛ إذ إن مكية السورة ظاهرة، ومما يعين على الجزم بذلك سوى القسم والافتتا ح به، أن صيغة : "خلقنا" برمتها وقد وردت أربعاً وعشرين مرة، ليس بينها مرة واحدة مدنية؛ فهذا نسق آخر يستعان به، ولا يستهان به، وإذا تتبعنا صيغتي : "خلق الإنسان" و"خلقنا الإنسان"، وجدناهما بالاستقراء التام مكيتين، وإليك أمثلة للصيغتين، فمثال الأولى:

١. قوله I : [**خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ**][٤: النحل].
٢. وقوله I: [**خَلَقَ الْإِنسَانَ**][٣: الرحمن].
٣. وقوله I:[**خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**] [١٤: الرحمن].
٤. وقوله I: [**خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**][٢: العلق].

وتتمثل الصيغة الثانية فيما يلي:

١. قوله I: [**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**][٢٦: الحجر].
٢. وقوله:[**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**] [١٢: المؤمنون].
٣. وقوله: [**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**][١٦: ق].
٤. وقوله: [**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**][٢: الإنسان].
٥. وقوله:[**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**][٤: البلد].
٦. وقوله:[**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**][٤: التين].

فتلك عشرة كاملة من الآيات تتحدث عن خلق الإنسان، لم يرد فيها نص واحد مدني، وذلك نسق آخر متصل بالأول، يستأنس به كذلك.

وبعض القائلين بالمكية حاولوا تحديد موقعها نزولاً في سياق البعثة النبوية، وأحداث السيرة ، فقالوا : "سورة التين مكية، نزلت بعد سورة البروج، والبروج نزلت بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء والمعراج؛ فيكون نزول سورة التين في ذلك التوقيت"[١٢].

أغراض السورة:

قال ابن عاشور: "احتوت هذه السورة على التنبيه بأن الله خلق الإنسان على الفطرة المستقيمة؛ لي علموا أن الإسلام هو الفطرة كما قال في الآية الأخرى:[**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**][٣٠: الروم]، وأن ما يخالف أصوله بالأصالة أو بالتحريف فساد وضلال، ومتبعي ما يخالف الإسلام أهل ضلالة . والتعريض بالوعيد للمكذبين للإسلام . والإشارة بالأمور المقسم بها إلى أطوار الشرائع الأربعة[١٣]؛ إيماء إلى أن الإسلام جاء مصدقاً لها، وأنها مشاركة أصولها لأصول الإسلام. والتنويه بحسن جزاء الذين اتبعوا الإسلام في أصوله وفروعه وشملت الامتنان على الإنسان بخلقه على أحسن نظام فيجثمانه ونفسه"[١٤].

المبحث الأول: المقسم به في سورة التين: معناه، ترتيبه، أقوال العلماء فيه.

ظاهرة القسم:

القسم ظاهرة إنسانية تشترك فيها البشرية بأجمعها، وليست تختص بأمة دون أمة، وهي في الوقت نفسه حاجة نفسية تشرع المقسم له بنوع من الطمأنينة، وهي من زاوية ثالثة: ظاهرة بلاغية في لغتنا العربية الشريفة، وكذلك هي من ظواهر أسلوب القرآن المعجز البيان؛ فقد جاءت عدة سور مفتتحة بالقسم، وجاء القسم في ثنايا عشرات السور الأخرى و في أثنائها، وهو في السور المكية ظاهرة أسلوبية لا تخطئها العين.

وتفصيل الحديث في القسم ليس موضوعنا الآن، ولكن نعرج عليه تعريجاً سريعاً؛ فمعلوم أنه متضمن لأركان خمسة، هي : المقسِم (بالكسر)، والمقسَم له (بالفتح)، والمقسم عليه، والمقسم به، وأداة القسم، ومن الضروري أن يكون المقسم به شيئاً مقدراً مشتركاً بين الفريقين، المقسِم والمقسَم له[١٥].

والقرآن بأسلوب القسم يعظم القضية المقسم عليها، ويلفت الأنظار إلى أهميتها، كما في قوله I:[**هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ**][٥: الفجر]، وأيضاً يعظم المقسم به؛ فلا يقسم العظيم إلا بعظيم على عظيم، كما عظّم حياة النبي ε حين أقسم الحق تبارك وتعالى بها ف ي قوله:[**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**][٧٢: الحجر].

القسم في سورة التين:

افتتحت السورة الكريمة بقوله (تعالى):[**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ *وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**]، وأقول : صحيح أن معنى التين في ظاهره، هو : الثمرة المعروفة، وكذلك الزيتون، ولكن النص القرآني عنى بهذا وكنى به عن المكان الذي ينبتهما، وهو : فلسطين؛ فيلتقي في السياق بذلك أطهر ثلاث بقاع تنزل فيها الوحي على أنبياء الله؛ فهي نسق حتى في الزمان.

إذا قلنا بهذا اتفق النص مكاناً وزماناً واتساقاً ..، وانسجم الفهم فلم يتبعثر، ولم تتقطع السبل بالعقل، ولم تتفكك أوصال النص؛ فيصبح على قولهم : التين والزيتون مأكولين، والطور والبلد الأمين مكانين، عنى بالأولين: نعم الله بالطعام، وبالتاليين : نعمه بالرسالة؛ فهذا تفكيك أول، ثم ما علاقة المقسم به مع القسم عليه؟!، سندخل فـي تفكيك ثان إن لم نصوب نقطة البداية؛ فخلق الإنسان في أحسن تقويم مرتبط بالمقسم به، وهذه قاعدة مطردة في القرآن الكريم : أن يتعانق المقسم به والمقسم عليه في السورة الواحدة ويتناسقا، كما يقول صاحب التصوير: "تناسق الإطار والصور"[١٦].

ثم سنتعرض لتفكيك ثالث إن قلنا: إن أحسن تقويم هو موضوع الشكل والهيئة والقوام، وإنما المعني به قطب الرحى في إنسانية الإنسان، أعني : الروح والنفس التي عليها مدار الفلاح والنجاح، أو الانطراح في النار:(**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**] [٩-١٠: الشمس].

وحتى ننجو من تفكيك رابع إذ نقول : إن أسفل سافلين، هو : الرد كالأطفال، إذ يصيب الناس الخرف والضعف من بعد الفتوة وميعة الصبا وقوة الشباب، إلا الذين آمنوا فإنه يحفظهم إيمانهم، وهذا تفسير ينقضه الواقع من ناحية، ويفكك النص من ناحية أخرى.

قصدت أن أقول – ولم أرد أن أكرر–: إن الذي ينجينا من كل هذا التفكك والتفكيك، هو: تفسير المقسم به على أنه ثلاثة أمكنة، وليس هذا ابتداعاً ولا اختراعاً سجلت براءته، وإنما هو اختيار فقط من بيدر الأقوال، ولعل من أول وأولى وأجلى من أصّله: ابن تيمية، ونقله عنه تلميذه ابن كثير، ثم التلميذ النجيب في الأعصر المتأخرة جمال الدين القاسمي؛ فهذه السلسلة الكريمة جلّت هذا فحلت مشكلة في الفهم ومنهجية في التفسير[١٧].

وأعود إلى أقوال المفسرين في الموضوع؛ فقد قال كثير منهم: "هذه أقسام بثلاثة مواضع بعث فيها عظام الرسل (عظماؤهم)، ومشاهير الأنبياء ، وميلاد بعضهم فيها"[١٨]؛ فقال ابن كثير : "هي محال ثلاثة : بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم "[١٩]؛ فالأول، هو : مبعث عيسى عليه السلام في بيت المقدس[٢٠]، والثاني: مبعث موسى عليه السلام، وهو: طور سيناء، والثالث، هو : مبعث محمد خاتم الأنبياء والرسل ε ، ولهذا بدأ بالقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم الأشرف منهما[٢١].

وقال الآلوسي: "الغرض من القسم بتلك الأشياء: الإبانة عن شرف البقاع المباركة، وما ظهر فيها من الخير والبركة ببعثة الأنبياء"[٢٢].

وقال القرطبي: "أقسم الله بجبل دمشق؛ لأنه مأوى عيسى، وجبل بيت المقدس؛ لأنه مقام الأنبياء، وبمكة؛ لأنها دار إبراهيم ومحمد (عليهما السلام)" [٢٣].

ومعنى القسم بهذه الأشياء من خلال ما سبق وكذلك من الاطلاع على أقوال المفسرين عامة، معناه : الإبانة عن شرف هذه البقاع المباركة؛ بسكنى الأنبياء والصالحين لها؛ فمنبت التين والزيتون : مهاجر إبراهيم، ومولد عيسى ومنشؤه [٢٤]، والطور : المكان الذي نودي منه موسى، ومكة: مكان البيت الذي هو هد ى للعالمين ومولده ε ومبعثه[٢٥].

والقسم بالأماكن المباركة هو الظاهر من الآيات، وهو معروف في لغة العرب، وقد تطلق الصفة ويراد بها الموصوف، وقد يطلق المحل ويراد به أهله، كقوله تعالى:[**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**][٨٢: يوسف]، أي : أهلها، وقوله :

[**فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ**][١٠٧: آل عمران]، أي: في جنته، أطلق الرحمة وهي صفة، وأراد الموصوف، وهي : الجنة، أي: هم في الجنة مكان نزول رحمة الله[٢٦].

تعليق على القسم ب التين والزيتون وبيان ترتيب الأمور المقسم بها.

قال الزمخشري وكثيرون ممن نقلوا عنه أو قالوا بمثل قوله: "أقسم بهما؛ لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار؟!.."[٢٧]، والنخل لا يقل عجباً وإدهاشاً عنهما ولا الأعناب [٢٨]؛ فهي جميعاً تؤكل رطبة ويابسة ..، وغيرها من ا لثمار مدهش وعجيب، ولكن الأمر فيما أرى–يجري في اتجاه آخر– الأمر– وفق نسق السورة – أمر أمكنة الوحي؛ أو منبهاً أو مذكراً بتلك الأرض، وذكر الأرض – حسب السياق– ليس هو المقصود لذاته؛ وإنما لأنه مهد نبوة عظيمة.

وأعتقد أن المذكور أمكنة إن بشكل مباشر أو بالإشارة والرمز والكناية من خلال ذكر أخص ما ينبت المكان، وأعتقد أنها تشير إلى ترتيب زمني في الرسالات: إبراهيم فموسى فمحمد (عليهم الصلوات)، وذهب كثير من المفسرين إلى كون الترتيب تصاعدياً في المقسم به من الأماكن؛ إذ قالوا : "والملاحظ للقسم المخرج بحسب أفضلية مها بط الوحي المقسم بها؛ فأولاً– بلد الله الحرام، ثم طور سينين، ثم بلاد التين والزيتون . وكذلك الكتب المنزلة على أصحابها في كل بقعة مقسم بها؛ فأفضلها القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل، وبالتأمل نرى أن القسم بمهابط الوحي يرجع إلى القسم برسالات الله وكتبه التي أنزلها لأصحاب هذه الرسالات، وأن القسم بالرسالات الربانية إشارة إلى عظمتها ورفعتها، وأنها لتهدي الناس إلى صراط مستقيم"[٢٩].

قلت: والترتيب زماني لوحظ فيه الأقدمية، فبدأ بالأقدم ثم الذي يليه في الزمان، ثم ختم بخاتم الأنبياء والرسل: محمد ε، وبخاتمة الرسالات والك تب: القرآن العظيم، وأن تسير الأمور على طبيعتها وترتيبها؛ خير من قلب الترتيب بلا موجب.

التين بين الحقيقة والمجاز:

لا شك أن التين هو التين، لكن هل هنا ينتهي بنا التطواف أم أن الكلمة تحتها معنى آخر، وترمز إلى شيء بعيد، وترمي إلى مرامي وراء اللفظ من الأم كنة التي ترمي بدورها إلى ما حصل في الأمكنة من تنزل نور الوحي؟. سأقف هنيهة عند: "أضواء البيان" للعلامة الشنقيطي (رحمه الله)، وتتمته – ومنها القول الذي سأقتطفه ،لتلميذه النجيب العالم : عطية سالم (رحمه الله)؛ إذ يرى أن التين هو التين، ولا شيء بعد ولا خطوة أبعد من ذلك، ونص عبارته:

"التين والزيتون : الثمرتان المعروفتان ..، وعن كعب: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، أراد منابت التين والزيتون بقرينة الطور والبلد الأمين، على أن منبت التين والزيتون لعيسى [٣٠]، وطور سينين لموسى، والبلد الأمين لمحمد ε، ولكن حمل التين والزيتون على منابتهما لا دليل عليه، فالأولى : إبقاؤهما على أصلهما، ويش هد لذلك : أن التين أشبه ما يكون بثمار الجنة؛ إذ لا عجم له ولا قشر، وذكر الحديث : إن التين يقطع البواسير والنقرس – وهو قطعاً لا يصح إلى الرسول ε؛ إنما هو وصف عطارين – وعلّق الشيخ سالم عليه، فقال : ذكره النيسابوري ولم يخرّجه، أو لم يذكر من خرّجه.

وقال الشيخ: وذكره –أي: الحديث– ابن القيم في زاد المعاد قائلاً : وذكر عن أبي الدرداء τ: أهدي إلى النبي ε طبق من تين .. وساق النص، ثم قال : وفي ثبوته نظر[٣١].

وقد ذكر المفسرون وابن القيم وصا حب القاموس للتين خواص، وقالوا : إنها مما تجعله محلاً للقسم به، وجزم ابن القيم أنه المراد في السورة –ثم نقل عطية سالم

منافعه الطبية، حتى ما ورد عن جالينوس ...–، ثم قال: والصحيح كما يقول ابن القيم : أن المقسم به هو التين المعروف..

وعقب الشيخ عطية: وكما قال ابن القيم: لم يذكر التين في السّنة؛ لعدم وجوده بالحجاز، ولم يأت ذكره في القرآن قط إلا في هذا الموضع ...؛ فترجح أن المراد هو المأكول، كما ترجح عمن سمّ ينا..، أما الزيتون [٣٢]؛ فقد تقدم للشيخ – الشنقيطي– في المقدمة: أن من أنواع البيان إذا اختلف في المعنى المرا د، وكان مجيء أحد المعنيين أو المعاني المحتملة أكثر في القرآن، فإنه يكون أولى بحمل اللفظ عليه"[٣٣].

وأؤيد ما ذهب إليه ابن القيم والشنقيطي وتلميذه (رحمهم الله) فيما رأوه[٣٤]، ولكني أرى أن التين والزيتون يرمزان إلى أماكن زرعهما، ومنابتهما، وهذا لا يعاند الحقيقة ولا يعارضها ولا يناكدها، كما يعبر ابن عاشور في مواطن أخرى[٣٥].

وبهذه الطريقة يتحقق ما أسميه : النسق والتآلف والتناسق، الذي هو مبنى القرآن وقاعدته.

وأما صاحب الظلال الوارفة (رحمه الله)، فقد تردد في البدء، ثم قال: "..كثرت الأقوال في التين والزيتون..، فقيل..– وذكر الأقوال فلا نعيد– وذكر الأماكن ..، وقيل: هما الأكلان، وليس هناك رمز لشيء وراءهما، أو أنهما رمز لمنبتهما من الأرض ..، ثم قال : ومن ثم؛ فإننا لا نملك أن نجزم بشيء في هذا الأمر، وكل ما نملك أن نقوله اعتماداً على نظائر هذا الإطار في السور القرآنية: إن الأقرب أن يكون ذكر التين والزيتون إشارة إلى أماكن وذكريات ذات علاقة بالدين والإيمان، أو ذات علاقة بنشأة الإنسان في أحسن تقويم – وربما كان ذلك في الجنة التي بدأ حياته فيها .. [٣٦]؛ كي تلتئم هذه الإشارة مع الحقيقة الرئيسية البارزة في السورة، ويتناسق الإطار مع الحقيقة الموضوعة في داخله على طريقة القرآن.."[٣٧].

أقوال العلماء في تفسير القسم بالتين:

لا أبالغ حين أقول : إن أقوال المفسرين تفاوتت تبايناً وتباعداً في تفسير التين إلى حد يضيق به الصدر، خاصة إذا علمنا أ ن أ قوالهم قد نيّفت عن العشرة، وفي الشكل التالي موجز لأقوالهم، أفصل القول من خلاله في الصفحات التالية، بإذن الله.

تفصيل القول في اختلاف العلماء حول معنى القسم بالتين:

–**القول الأول**: التين هو الثمرة المعروفة، وهو منسوب إلى ابن عباس، إذ يقول: "هو تينكم الذي تأكلون"[٣٨].

–**القول الثاني**: عهد آدم (عليه السلام) وعصره، وهو قول الإمام محمد عبده وتلميذه : أحمد مصطفى المراغي، وتبعهما الأستاذ: عبد الكريم الخطيب (رحمهم الله) [٣٩]، قالوا: إن القسم بالتين يعني : التذكير بعهد الإنسان الأول الذي كان يستظل فيه بورق التين حينما كان يسكن الجنة[٤٠]. وقال الخطيب : " فالتين إشارة إلى عهد الإنسان الأول؛ فإن آدم – كما تقول التوراة– كان يستظل في الجنة بشجر التين، وعندما بدت له ولزوجه سوءاتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين..؛ فهذا أول فصل من فصول الإنسان"[٤١].

– **القول الثالث**: التين: مسجد نوح (عليه السلام)، وهو منسوب أيضاً إلى ابن عباس ترجمان القرآن ، وعلم الله أن مثل ابن عباس في عظمته وعلمه لا يصدر عنه مثل هذه الغرائب !، ولا يدري شيئاً عما يرويه عنه الناس!، إذ كيف يعقل أن يقول مثلُه بالقول ونقيضه في الوقت ذاته[٤٢].

– **القول الرابع**: أن التين: مسجد دمشق، وهو أغرب من سابقه، وقد تعقبه الإمام محمد عبده بقوله : "وأما على أنه جبل في دمشق أو مسجدها، فلا نفهم للإقسام به حكمة، بل يكون مما لا يعلمه إلا الله.." [٤٣].

– **القول الخامس**: التين: طورتينا بالسريانية، وهو قول عجيب؛ إذ قال عدد من المفسرين : إن القسم بالتين

إشارة إلى طورتينا!، والأعجب أن هذا الاسم بالسريانية!، وأظن أن المسألة ملفقة تلفيقاً، ومجموعة من التين وسينا، ومؤلف منها هذا الذي زعموه : طورتينا!، ولم يقولوا لنا : ما العلاقة بين النص القرآني والسريانية؟!(٤٤).

– **القول السادس**: المقصود بالقسم: جبال الشام، وهذا القول يجمعه بعضهم بقوله : جبال با لشام، وآخرون بقولهم: جبل بدمشق، وغيرهم: جبل بالشام. وأقول: وهذا القول يحتمل احتمالين للمعنى:

الأول– أن يكون قصد الكناية؛ فذكر التين وكنى به عن المكان.

الثاني– أنه قصد تسمية الجبل : التين؛ لكثرته فيه، كما قال ابن عاشور : "ولعل تسمية هذا الجبل: التين؛ لكثرته فيه، إذ قد تسمى الأرض باسم ما يكثر فيها من شجر، كقول امرئ القيس : "أمِرْخ د يلرهم أم عُ شَرِ" – أسماء نباتات–..، وسُمِّيَ بالتين موضع في شعر النابغة يصف سحابات : صرهب الظلال أتين التين في عُرض.." أ. هـ(٤٥).

ولعل ما حمل القائلين بأن التين والزيتون جبلان أياً كان الموقع والمكان – هو النسق في تصورهم؛ ذلك أن القسم بجبل الطور ثم بالبلد الأمين المحاط بالجبال ، فلا بد إذاً أن يكون التين والزيتون كناية عن جبلين؛ لينسجم السياق ويتسق، وفاتهم أن المعنى الأهم

ليس المكان، وإنما ما كان من وح ي وتنزيل في المكان به ازدان المكان..[٤٦].

– **القول السابع**: المقصود بالقسم أمر مقدر وتقديره : أقسم برب التين، قالهالشيخلي[٤٧].

– **القول الثامن**: معنى "والتين": منابت التين والزيتون، والمقصود: مهابط الوحي في فلسطين على جملة من أنبياء الله ورسله (عليهم السلام)، قا ل الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميدا ني (رحمه الله): "قد يكون المراد بالتين والزيتون معاً : بلاد الشام وما حولها على وجه العموم، وقد يشير إلى ذلك جمعهما في آية واحدة، بينما طور سينين في آية منفردة، والبلد الأمين في أخرى .." [٤٨].

وقال ابن تيمية : "أقسم بالمواضع التي جاء فيها محمد والمسيح وموسى"[٤٩].

وقال الآلوسي : "الغرض من القسم : الإبانة عن شرف البقاع المباركة، وما ظهر فيها من الخير والبركة ببعثة الأنبياء"[٥٠].

وذكر ذلك الشيخ : عطية سالم متمم الأضواء للشنقيطي، ولكنه رجح عليه أنه التين الحقيقي والزيتون على الحقيقة، فقال: "وأرادوا منابت التين والزيتون، بقرينة الطور لموسى والبلد الأمن لمحمد ..، ولكن هذا لا دليل عليه"[٥١].

وقال الصابوني : " القسم بالبقاع المقدسة التي خصها الله بإنزال الوحي"[٥٢].

– **القول التاسع**: التين: الكوفة، نسبه الرازي إلى شهر ابن حوشب، وذكره غيره بلا عزو[٥٣].

– **القول العاشر**: التين: جبال بين حلوان وهمدان : نقله الزمخشري[٥٤].

وقال صديق حسن خان: "قال الفراء: سمعت رجلاً يقول: التين جبال حلوان إلى همدان . وعقب خان عليه، فقال: هب أنك سمعت هذا فكان ماذا؟!، فليس بمثل هذا تثبت اللغة ولا هو نقل عن الشارع"[٥٥].

– **القول الحادي عشر**: التين : مسجد أهل الكهف[٥٦] ، وهو في نظري من الغرائب !؛ إذ أين مسجد أهل الكهف؟!، ومن يعين مكانه؟ !، وهل نقسم للناس بما لا يعلمون مكانه؟!، ثم ما الذي أتى بذكره في هذا السياق؟!، وما وجه مناسبته مع السورة ونسقها؟ !، وما الذي جمع هذا المكان مع أماكن بعثة الأنبياء؟ !، ولماذا

يقدمه على بقية الأم اكن؟!، هذا مثال على التفسير خارج النسق والسياق.

– **القول الثاني عشر**: هذا قسم بجميع نعم الله (تعالى) ومنها: التين، ولكنه رمز لها به[٥٧].

– **القول الثالث عشر**: "والتين"، المقصود: ومنابت التين والزيتون– على حذف مضاف، وهذا يلتقي مع غيره في النتيجة، ويختلف في المقدمات[٥٨].

لم أستوعب الأقوال كلها بالتفصيل، واكتفيت بما قيل، خشية التطويل.

معنى: "والزيتون" كما في التفاسير:

أكتفي هنا بسرد الأقوال على صعيد واحد دون فرزها؛ فهو إطالة وجهد مضن ..، وقد حققت مرادي من الفرز للأقوال في التين؛ لأبرهن بنموذج حي على التشرتت المضيع للفهم، والمخالف لنظرية النسق لب البحث، فأقول موجزاً : إن من المفسرين من قال : إن الزيتون على الحقيقة، وهو ما رآه ابن القيم، وتبعه الشنقيطي وتلميذه : عطية سالم، وموجز قولهم : إن صرف الزيتو ن إلى الحقيقة لا إلى الكناية ولا إلى المجاز هو الأولى، ودليل ذلك وروده عدة مرات في القرآن الكريم على الحقيقة، والكلمة – على قاعدة الشنقيطي– إذا وردت في موارد أخرى في القرآن على الحقيقة، كان حملها على الحقيقة أولى.." [٥٩].

ومنهم من قال بأن الزيتون : اسم لأحد جبال القدس في فلسطين، وذكر ذلك القاسمي فقال : "جبل الزيتون من جبال فلسطين "، نقله عن صاحب الذخيرة في تعداده لجبال فلسطين؛ وإنما سمي بذلك– على قولهم–؛ لكثرة الزيتون فيه[٦٠].

ومنهم من ذكر طور زيتا، ومنهم من قال هو طور سيناء؛ لأنه نبت فيه الزيتون ب قرينة آية سورة المؤمنون[٦١]، كما ذكره عبد الكريم الخطيب[٦٢].

ومنهم من أشار إلى أن بيت المقدس بصفته منبت الزيتون هو المقصود[٦٣].

القسم في الآيتين: الثانية والثالثة:

لم يقع في بيان المقصود منهما خلاف ذو شأن؛ فتكاد كلمة المفسرين تتفق في أن المقصود با لطور: المكان الذي كُلّم فيه موسى (عليه السلام) ونزلت عليه فيه الرسالة، وبدأت فيه نبوته، وأما البلد الأمين : فمكة (حرسها الله وزادها شرفاً)، وأما الأمين: فالآمن المأمون فيه، وهو مكان الرسالة الخاتمة، ومهبط أعظم الكتب والرسالات: القرآن الكريم[٦٤].

المبحث الثاني:

المقسم عليه وعلاقته بالمقسم به

قال تعالى:[**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**]، هذا هو المقسم عليه بلا خلاف، ولكن الخلاف وقع شديداً في معناه،؛ فمن قائل : أحسن صورة وأبدع شكل. ومن قائل: مديد القامة. وقائل: منتصب القامة. وآخر: يتناول طعامه بيديه . أو قائل : بينما الحيوانات مكبة على وجوهها تأخذ طعامها بفمها، هذا يمشي على قدميه، ويتناول طعامه بيديه.

وهناك من قال: أحسن تعديل وخلقة وتسوية، حساً ومعنى. وهناك من قال قولاً ضبابياً يتردد فيه بين الشكل والمضمون، والبعد الحسي والجسمي والنفسي.

وما سبق عينة للصحو والغائم من الأقوال في معنى الآية[٦٥].

وقفة مع المقصود بالإنسان:

قال الشيخ عطية سالم (رحمه الله): "والإنسان وإن كان لفظاً مفرداً إلا أنه للجنس ، فباستثناء الجمع منه : إلا الذين آمنوا، علم أنه للجنس"[٦٦].

وقد أحسن الشيخ في ذلك ؛ فقوله ينسجم مع السياق والنسق، وبه نستغني عن قول بعضهم في تفسير

الإنسان بالكافر، فذلك من عجائب ما أتى به القوم، وأعجب منه قول من خصص الكافر بشخص معين، كمرة والوليد وأبي جهل وذرية آدم – على قول–، وحمل الآية عليه، وذلك تكلف واضح لا يحتمله النص(٦٧).

معنى قوله (تعالى): [ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ]:

فسرت هذه الآية تبعاً لما فسرت به الآية التي قبلها، فمن قال بأن [أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]، هو: الهيئة والشكل والقوام، قال: بأنه الهرم والخرف والعجز(٦٨)، ومن رأى أن [أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]، هو: فطرة الدين، فسر أسفل سافلين بأنها النار مأوى المنحرفين عن فطرة الدين(٦٩).

معنى قوله (تعالى): [إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا]:

وتبعاً لوجهتي النظر في تفسير ماسبق، اختلف في نوع الاستثناء بين الانقطاع والاتصال : فقال البيضاوي: الاستثناء منقطع. وجاء معناه في الجلالين : إلا من بلغ أرذل العمر من المؤمنين، فله أجر عمله زمن الشباب(٧٠).

واعترض الجمل قائلاً :"وعلى هذا التقرير يؤول المعنى إلى اتحاد المستثنى والمستثنى منه، وعدم التغاير بينهما، ويلزمه أن لا يكون متصلاً ولا منقطعاً، وهذا لا يصح"(٧١).

واعتبر الجمل قول البيضاوي مخرجاً من المشكلة، والحق في نظري غير ذلك؛ إذ المخرج منها تفسير النص في ضوء النسق؛ حتى نخرج من النفق، نفق الأقوال التي تنقل لمجرد الرواية دون الفهم أو الدراية

وذكر الزمخشري وجهين لمعنى : "أسفل سافلين": النار وأرذل الأعمار . وبناء عليه يكون الاستثناء . قال: "فإن قلت : فكيف الاستثناء على المذهبين؟ قلت : هو على الأول متصل ظاهر الاتصال (٧٢). وعلى الثاني منقطع، يعني: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى؛ فلهم ثواب غير منقطع"(٧٣).

ويرجح الشيخ عطية سالم أن الاستثناء بمعنى: إلا الذين آمنوا فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف !!(٧٤)، ثم قال: "إن الرد يشعر بالرد إلى أمر سابق، والسابق، هو : خلق الإنسان في أحسن تقويم، فرده يكون بعدم الإيمان كالحيوان، بل أسفل، وعليه يكون الاستثناء بمعنى: إلا أن الذين آمنوا بإيمانهم يترفعون عن السفالة ..، والوجهة الأعم وهي الشاملة لموضوع السورة ابتداء من التين والزيتون؛ فالنزول أسفل سافلين نزول آدم وذريته إلى الأرض يحرث ويزرع!.."(٧٥).

وهذا من أعجب ما قيل أو قد يقال ..؛ فهل نزول الإنسان للخلافة في الأرض يكون بهذه الصورة، ويعبر عنه بهذا التعبير؟!، إن هذا خطأ فاحش كبير، خاصة إذا ارتبط النزول من الجنة بأبي البشر أجمعين !! فكيف يوصف بأسفل سافلين؟!.

ويرى ابن عجيبة أن الاستثناء متصل مع أنه فسره بالهرمى والزمنى(٧٦).

ويحسّن ابن عطية انقطاع الاستثناء؛ لأن أسفل سافلين عنده الهرم؛ إذ يقول : "اختلف الناس في معنى أسفل سافلين – وذكر خلافهم ومنه : الهرم– وقال: والمؤمن إذا بلغ هذه المرحلة رفع عنه القلم، والاستثناء مع هذا منقطع، وهذا قول حسن!!.."(٧٧).

والاستثناء – فيما أراه راجحاً– متصل؛ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم المستثنون، هم من جنس الإنسان الذي هو في جملته في خسر.

أما هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم مستثنون من الخسر والخسران والرد أسفل سافلين، بل هؤلاء لهم الفوز والنجاح والنجاة من الخسران، والنجاة من الرد إلى أسفل سافلين، وهي: مرتبة الحيوان، ثم الرد بعدها إلى النيران.

وفي هذا المعنى عدة مواضع من القرآن: ففي سورة العصر:[**الْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ][١-٣: العصر].

وهذا مطلع سورة المؤمنون ، شاهد – إن شاء الله – لما نقول؛ ففيه: **[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ]**.

فهذه المواضع الثلاثة تشهد لبعضها، ومعلوم أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أُجْمِلَ –على فرض ذلك– في موضع، يفصّل ويبيّن في آخر، ومعلوم أن خير من يفسر القرآن القرآن؛ فالسورة على هذا تتعانق آياتها وتتناسق، فلا انقطاع: لا في المعاني ولا في الإعراب..، بل إني أعد القول بالانقطاع من الإغراب في القول. ولا حاجة له ولا ضرورة تلجئ إليهوالله أعلم.

المبحث الثالث: معنى المقسم به والمقسم عليه الذي أختاره في ضوء النسق.

من خلال العرض السابق لاختلاف العلماء في تفسير المقسم به والمقسم عليه في السورة، أرى– وما توفيقي إلا بالله– أن معنى السورة في ضوء تفسيرها وفق النسق، يكون على النحو التالي:

أن الله تعالى يقسم بالدين ممثلاً في مهابط الوحي، وأماكن تنزل الرسالات على أعظم أنبيائه، ويشمل ذلك: فلسطين، وهي: مهد نبوة إبراهيم وعيسى عليهما السلام– إبراهيم بالأساس وعيسى ب التبعية–، وفلسطين هي أرض التين والزيتون، وهذا المكان رمز له برمزين؛ لأنه يتضمن نبيين عظيمين . ثم أقسم سبحانه بمكان تنزل رسالة موسى عليه السلام، وهو : طور سيناء. ثم بالبلد الأمين مهد الرسالة الخاتمة : رسالة محمد ε، وهي: القرآن الكريم.

إذاً يقسم الله بالدين ممثلاً بأماكن وحيه ومهابطه، يقسم على حقيقة، هي : أنه تعالى خلق الإنسان على أحسن تقويم، أي: أقوم فطرة، وهي: فطرة الدين.

[ثُمَّ رَدَدْنَاهُ]، بانتكاسه هو – أي الإنسان – عن فطرة الدين، رددناه إلى مرتبة الحيوانية الأدنى من مرتبة الإنسان والإنسانية؟؛ فأسفل سافلين، هي: الانتكاس عن فطرة الدين ..، تماماً كما بين تعالى أنه حمّل الإنسان الأمانة فقصر في حملها إذ قال : **(وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**][٧٢: الأحزاب]. **[إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**]؛ فإنهم حافظوا على "فطرة الدين"، وأتوا الله بقلب سليم.

[فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ]، أي : ما الذي جعلك تكذب بالدين أيها الإنسان وقد فطرك الله عليه؟!. والدين في هذا السياق قد يكون بمعنى : الجزاء ويوم الدينونة، أو بمعنى: المنهج الذي سيكون الإثابة عليه – التزاماً أو عدماً– في يوم الدين(٧٨).

وقد ختم الله تعالى سورة التين المفتتحة بالقسم باستفهام يثير الانتباه والاهتمام، فقال عزّ من قائل : **[أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ]** في هذه الدنيا ويوم الدين؟ والجواب: بلى.

ملخص القول ومختصره، أن معنى السورة هو : أقسم بالدين، أني خلقت الإن سان على فطرة الدين، ثم انتكس الإنسان عن فطرة الدين، كما تخلى عن الأمانة وترك الخلافة التي حمل ثقلها، إلا الذين آمنوا فإنهم حافظوا على فطرة الدين، فمن الذي بعد هذا يكذب بالدين، أليس الله بأحكم الحاكمين في الدارين وخاصة في يوم الدين؛ حيث تتجلى السلطة المطلقة والعدل المطلق لله رب العالمين؟!.

هذا وبالله التوفيق . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على خاتم النبيين.

نتائج البحث:

١. القرآن الكريم نسق متناسق، وعقد نضيد متعانق ، ونسيج محكم مترابط، لا يجوز أن يفسّر إلا على هذا الأساس؛ إذ التعامل معه على غير ذلك إضاعة لخط الفهم، وخيط الحقيقة.

٢. يتضمن كتاب الله من الأساليب ما به يهتدي العقل عند الفصل في الأمور المشتبهة، والمعاني الملتبسة، والأقوال المضطربة . ولو تدبرنا آيات القرآن لاستخرجنا مثل هذه التضمينات، والنسق أحد أهم هذه المتضمنات والضمانات.

٣. كل سورة قرآنية عقد أو "عنقود" مترابط، وموضوع واحد، وفي ضوء الوحدة الموضوعية، وفي ضوء ترابط المقسم به والمقسم عليه– ضرورة– نستطيع أن نحسم الترددات والاضطرابات في الأقوال وفي التفسيرات.

٤. تفريعاً على هذا الأساس؛ فإن سورة التين نسيج متين، وخيط واحد مكين، تقسم بالدين على خلق الإنسان على فطرة الدين، إلا من انتكس عن هذه الفطرة من الكافرين، أما المؤمن : فيرعاها..، أي: فطرة الدين.

٥. النسق في المعاني والتفسير، كالقرائن في الأدلة وقضايا القوانين، ومثلما يؤخذ بالقرائن في الأحكام، ينبغي أن يسترشد بالنسق في معرفة المعاني واستقامة الأفهام. وهذا ضابط من ضوابط التفكير، كأصول المنطق في ضبط التفكير الفلسفي والإنساني على العموم.

٦. هذا الفهم في ضوء النسق ما أشبه أن يكون كالاستنباط أو هو هو، وقد أمرنا بالاستنباط في قوله (تعالى): [لعلمه الذين يستنبطونه منهم] (٨٣: النساء)، فإن لم يكن التفسير في ضوء النسق "نصاً" في المسألة، فهو من رحم النص قد خرج، واستنباط من النص هو..؛ فهو قريب من قريب

والحمد لله في البدء والختام . وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم السلام.

الهوامش:

(١) محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **أساس البلاغة** ، بيروت، دار صادر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط١، ص ٦٣٠.

(٢) محمد بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب** ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج١٤، ص١٢٧؛ ويوسف خياط ونديم المرعشلي، **لسان العرب المحيط** ، بيروت، دار لسان العرب، ج ٣، ص ٦٢٨. وروى حديث عمر بصيغة : "تابعوا بين الحج والعمرة " رواه عمر، يبلغ به النبي ε كما رواه عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه بإسناد حسن . (المختارة ١٩٦/٨) والطبراني . وروى عن أم سلمة وأبو هريرة وجابر رضي الله عنهم، ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب، والغرابة من بعض الطرق . وفي الترغيب والترهيب للمنذري ١١٩/٢ وقال : حسن صحيح، وفتح الباري ٢/ ٥٩٨ عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٣) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، **القاموس المحيط** ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط١، ج٢، ص١٢٢٦؛ وطاهر الزاوي، **مختار القاموس** ، بيروت، الدار العربية للكتب، ١٩٨٣م، ص٦٠٢.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط** ، استانبول، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ط١، ج٢، ص ص٩١٨– ٩١٩.

(٥) راجع : إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **تفسير القرآن العظيم** ، بيروت، مؤسسة الريان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج٤، ص٦٣٠ ويشار إليه (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم).

(٦) سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦م)، **النقد الأدبي** ، القاهرة، دار الفكر العربي، ص ٤٣؛ وصلاح الخالدي، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب** ، عمّان، دار الفرقان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ط١، ص٨٨ ويشار إليه (الخالدي، نظرية التصوير الفني).

(٧) سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦م)، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ط٨، ص ص٨٧–٨٨ ويشار إليه (سيد، التصوير الفني)؛ والخالدي، **نظرية التصوير الفني**، ص ص٨٨–٨٩.

(٨) سيد، **التصوير الفني** ، ص ١٤٢؛ والخالدي، **نظرية التصوير الفني**، ص ٨٩.

(٩) راجع في مكية السورة ما يلي : محمد يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، **البحر المحيط** ، تحقيق : عادل عبد الموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط١، ج٨، ص ٤٨٥ ويشار إليه (الأندلسي، البحر المحيط)؛ وعلي بن محمد الخازن (ت ٧٤١هـ/١٣٤١م)، **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، ضبط وتصحيح : عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ط١، ج٤، ص ٤٤٤ ويشار إليه (الخازن، لباب التأويل)؛ وهود بن محكم الهواري (من علماء القرن الثالث الهجري)، **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق وتعليق : بلحاج بن سعيد شريفي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م، ط١، ج٤، ص ٥١٧ ويشار إليه (الهواري، تفسير كتاب الله العزيز)؛ وعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م)، **الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** ، تحقيق: صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ط١، ج٢، ص ١٢١٤ ويشار إليه (الواحدي، الوجيز)؛ وعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق : عادل عبد الموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ط١، ج٤، ص ٥٢٣ ويشار إليه (الواحدي، الوسيط)؛ وعبد الرحمن ابن محمد الثعالبي (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج٤، ص٤٢٥ ويشار إليه (الثعالبي، الجواهر الحسان)؛ ونصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، **تفسير القرآن الكريم: بحر العلوم** ، تحقيق وتعليق : علي معوض وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ط١، ج٣، ص ٤٩١ ويشار إليه (السمرقندي، بحر العلوم)؛ والحسن ابن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ضبط: زكريا عمي رات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج٦، ص٥٢٤ ويشار إليه (النيسابوري، غرائب القرآن)؛ ومحمد حسين فضل الله، **من وحي القرآن**، لبنان، دار ملاك، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ط٢، ج٢٤، ص٣٢١ ويشار إليه (فضل الله، من وحي القرآن)؛ ومحمد ابن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، **التفسير الكبير**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ط٣، ج٣٢، ص٢١٠ ويشار إليه (الرازي، التفسير الكبير)؛ وعبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ضبط : زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ط١، ج٢، ص٨١٨ ويشار إليه (النسفي، مدارك التنزيل)؛ والفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، بعناية: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ط١، ج١٠، ص٣١٢ ويشار إليه (الطبرسي، مجمع البيان)؛ وإبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، **نظم الدرر في تن اسب الآيات والسور**، تخريج: عبد الرازق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ط١، ج٨، ص٤٧٠ ويشار إليه (البقاعي، نظم الدرر)؛ ومحمد بن علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ط١، ج٣، ص١٤١٦ ويشار إليه (الصابوني، صفوة ا لتفاسير)؛ ومصطفى الحصن المنصوري (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، **المقتطف من عيون التفاسير** ، تحقيق: محمد علي الصابوني، دمشق، دار القلم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج٥، ص٥٢٥ ويشار إليه (المنصوري، المقتطف)؛ ومحمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن** ، بيروت، الأعلمي للمنشورات، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ط٢، ج٢٠،

ص٣١٩ ويشار إليه (الطباطبائي، الميزان)؛ وأحمد بن محمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ/ ١٧١٢م)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد** ، تحقيق: عمر أحمد الراوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ط١، ج٨، ص٣٢٥ ويشار إليه (ابن عجيبة، البحر المديد)؛ وسيد قطب (ت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦م)، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ط٢٦، ج٦، ص٣٩٣٢ ويشار إليه (سيد، الظلال)؛ ومحمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، بعناية : عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ط١، ج٦، ص٤٤٥ ويشار إليه (العمادي، إرشاد العقل السليم)؛ ومحمد بن عبدالرحمن الإيجي (ت ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م)، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ط١، ج٤، ص٥٠٨ ويشار إليه (الإيجي، جامع البيان)؛ والحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ/ ١١١٧م)، **معالم التنزيل** ، تحقيق : محمد عبدالله النمر وآخران، الرياض، دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط٤، ج٦، ص٤٧١ ويشار إليه (البغوي، معالم التنزيل)؛ ورشيد الدين الميبدي ، **كشف الأسرار وعدة الأبرار** ، ج١٠، ص٥٤١ ويشار إليه (الميبدي، كشف الأسر ار)؛ ومنصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م)، **تفسير القرآن** ، تحقيق : غنيم بن عباس، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ط١، ج٦، ص٢٥٣ ويشار إليه (السمعاني، تفسير القرآن)؛ ومحمد علي الصابوني، **تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوي** ، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ط٢، ج٤، ص٥٦٧ ويشار إليه (الصابوني، تنوير الأذهان)؛ وطنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م)، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم** ، مصر، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ج٢٥، ص٢٠٩ ويشار إليه (الجوهري، الجواهر).

(١٠) ومن رجح المك ي ة: جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، **محاسن التأويل** ، ضبط : محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧هـ/ ط١، ج٩، ص٤٩٨ ويشار إليه (القاسمي، محاسن التأويل)؛ ومحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت، دار الخير، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ط١، ج٥، ص٥٤٥ ويشار إليه (الشوكاني، فتح القدير)؛ ومحمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، قرأه وصححه : محمد حسين العرب، دمشق، دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٣٠، ص٣١٠ ويشار إليه (الآلوسي، روح المعاني)؛ وصديق بن حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م) **فتح البيان في مقاصد القرآن**، قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، ط١، ج١٥، ص٢٩٧ ويشار إليه (القنوجي، فتح البيان)؛ ومحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد** ، دار سحنون، تونس، ج ٣٠، ص٤١٩ ويشار إليه (ابن عاشور، التحرير والتنوير)؛ وأحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)، **عناية القاضي وكفاية الراضي : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، ضبط وتخريج : عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط١، ج٩، ص٥٢١ ويشار إليه (الخفاجي، حاشية الشهاب). وقد استدلوا بقوله (تعالى): "(وهذا البلد الأمين)"، أي: مكة، إشارة إلى أن السورة مكية.

(١١) وممن نقل هذا القول : الخفاجي، **حاشية الشهاب**، ج٩، ص٥٢١؛ والآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٠، ص٣١٠؛ وابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج٣٠، ص٤١٩؛ والشوكان ي، **فتح القدير** ، ج٥، ص٥٤٥؛ والقنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٢٩٧؛ والقاسمي، **محاسن التأويل** ، ج٩، ص٤٩٨؛ والعمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٨، ص٤٤٥؛ والأندلسي، **البحر**

المحيط، ج٨، ص٤٨٥؛ والطبرسي، **مجمع البيان** ، ج١٠، ص٣١٢؛ وعبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **زاد المسير في علم التفسير** ، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ط١، ص١٥٦٦ ويشار إليه (ابن الجوزي، زاد المسير)؛ وعمرو بن علي بن العادل الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب** (ت بعد ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، تحقيق : عادل عبد الموجود وفريقه، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ط١، ج٢٠، ص٤٠٥ ويشار إليه (ابن العادل، اللباب)؛ وعلي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **النكت والعيون في تفسير القرآن** ، بعناية : السيد بن عبد المقصود، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط١، ج٦، ص٣٠٠ ويشار إليه (الماوردي، النكت والعيون)؛ والعز بن عبد السلا م، (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، **تفسير القرآن : اختصار النكت للماوردي** ، تحقيق : عبد الله الوهيبي، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج٣، ص٤٦٦ ويشار إليه (العز، تفسير القرآن)؛ وسليمان بن عمر العجيلي الجمل (ت ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م)، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، ضبط : إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج٨، ص٣٥٥ ويشار إليه (الجمل، الفتوحات الإلهية)؛ وأحمد بن محمد الصاوي (ت ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)، **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، تحقيق : محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ط١، ج٦، ص٢٩٧ ويشار إليه (الصاوي، الحاشية على الجلالين)؛ ومحمد بن مصطفى القوجوي (ت ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م)، **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**، ضبط : محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ط١، ج٨، ص٦٣١ ويشار إليه (القوجوي، حاشية زاده على البيضاوي). والملاحظ أثناء الاستقراء أن الماوردي والعز والصاوي وزاده وابن الجوزي والجمل وابن العادل قد ذكروا القولين دون ترجيح أو إبداء ميول نحو أحد الرأيين، وهذا غريب من أمثالهم. وكذلك وجدت كثيراً من المصادر السابقة تنقل رواية مدنية السورة عن القرطب ي، وقد بحثت عنها في طبعة دار الكتب العلمية فلم أجدها، ولم يتح لي المقارنة والاستقراء بالطبعات الأخرى، كذلك نقل ابن عاشور رواية عن ابن عطية تفيد أنه لم يعلم قولاً آخر في سورة التين غير المكية، ولم أجد هذا القول في الطبعة التي توفرت لدي. والله (تعالى) أعلم؛ راجع في نقل المفسرين رواية القرطبي على سبيل المثال لا الحصر : القنوجي، **فتح البيان** ، ج١٥، ص٢٩٧، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٤١٩.

(١٢) راجع في ذلك: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرون، الرياض، دار العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ط١، ج٦، ص٤٠٠ ويشار إليه (الزمخشري، الكشاف)؛ ومحمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان** ، تحقيق : سالم مصطفى البدري، بيروت، دار الكت ب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ط١، ج٢٠، ص٧٥ ويشار إليه (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن)؛ ومحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، بعناية : عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم، ج٢، ص٤٩٤ ويشار إليه (ابن جزي، التسهيل)؛ ومحمد عبده (ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، **تفسير جزء عم**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م، ص١٢٢ ويشار إليه (عبده، تفسير جزء عم)؛ وأحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٢م)، **تفسير المراغي**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م، ط٢، ج٣٠، ص١٩٣ ويشار إليه (المراغي، تفسير المراغي)؛ وابن عاشور، **التحري ر والتنوير** ، ج٣٠، ص٤١٩؛ وعبد الرحمن حبنكة الميداني (ت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دمشق، دار

القلم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ط١، ج٢، ص٣٩٣ ويشار إليه (حبنكة، معارج التفكر).

(١٣) لعله يقصد : شرائع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام).

(١٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ص٤١٩-٤٢٠؛ ولمزيد من الاطلاع على أقوال العلماء في أغراض السورة وأهدافها وموضوعها، راجع ما يلي: سيد، **الظلال**، ج٦، ص ص٣٩٣٢- ٣٩٣٣؛ وحبنكة، **معارج التفكر**، ج٢، ص ص٣٩٧- ٣٩٨؛ وسعيد حوّى (ت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، **الأساس في التفسير**، القاهرة، دار السلام، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط١، ج١١، ص٦٥٨٩ ويشار إليه (حوى، الأساس)؛ والصابوني، **صفوة التفاسير** ، ج٣، ص١٤١٦؛ وعبدالله شحاته (ت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، **تفسير القرآن الكريم** ، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م، ط١، ج١٥، ص ص٦٥٨٠-٦٥٨١ ويشار إليه (شحاته، تفسير القرآن الكريم)؛ ومحمد علي الصابوني، **قبس من نور القرآن**، القاهرة، دار السلام، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ط١، ج١٦، ص٢٦٩ ويشار إليه (الصابوني، قبس من نور القرآن)؛ ووهبة الزحيلي، **التفسير الوسيط**، دمشق، دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ط١، ج٣، ص٢٨٩٧ ويشار إليه (الزحيلي، الوسيط)؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١٩٣؛ وفضل الله، **من وحي القرآن**، ج٢٤، ص٣٢١؛ وابن عجيبة، **البحر المديد**، ج٨، ص٣٢٥؛ والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٨، ص٤٦٨-٤٦٩؛ والطباطبائي، **الميزان** ، ج٢٠، ص٣١٨.

(١٥) لمزيد من الاطلاع على تفاصيل كلام العلماء حول أقسام القرآن؛ راجع ما يلي : محمد بن أبي بكر قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق : فواز زمرلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ط١، ص ص٢٣-٣٤ ويشار إليه (ابن القيم، التبيان)؛ وعبد الحميد الفراهي (ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، **إمعان في أقسام القرآن**، دمشق، دار القلم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ط١، ص ص٢٧- ٢٨ وص ص٤١- ٧٥ ويشار إليه (الفراهي، إمعان في أقسام القرآن)؛ وبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ج ٣، ص ص٤٠-٤٥؛ وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق : مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ط٢، ج٢، ص ص١٠٤٨- ١٠٥٣؛ وأحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب : عبد الرحمن النجدي، الرياض، تصوير عن الطبعة الأولى، ج١٣، ص ص٣١٤- ٣١٨ ويشار إليه (ابن تيمية، مجموع الفتاوى).

(١٦) ونص عبارته: ".. ولكن الإبداع المعجز لا يقف هنا – عند التناسق في الصورة والإطار– ، إنه في بعض الأحيان يضع إطاراً للصورة، أو نطاقاً للمشهد، فيتسق الإطار ويتعانق مع الصورة والمشهد، ثم يطلق من حولهما الإيقاع الموسيقي الذي يناسب هذا كله.."؛ سيد، **التصوير الفني**، ص١٢٥.

(١٧) راجع في ذلك: أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق : مجموعة من الباحثين، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ط ٢، ج ٣، ص ص ١٧٣-١٧٤؛ وج٥، ص ص١٩٧- ٢٢٥ ويشار إليه (ابن تيمية، الجواب الصحيح)؛ وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤، ص٦٨١؛ والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٩، ص ص٤٩٩- ٥٠٣، وعبارتهم تأتي ضمن الأقوال في التين بإذن الله.

(١٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٦٨١.

(١٩) **المصدر السابق**، ج٤، ص٦٨١.

(٢٠) قلت : وغير هذا القول أولى وأقوى؛ فإبراهيم (عليه التسليم) مبعثه وعيشه ودعوته ومدفنه في فلسطين، فكيف يستبعد ولا يكون هو الم عني؟! وأما عيسى (عليه السلام) فيأتي ضمناً في سلسلة الأنبياء المبعوثين في فلسطين، وعلى قولنا هذا يصبح الترتيب نسقاً زمنياً،

الأقدم فالأقرب، وعلى قولهم يكون الترتيب مقلوباً، وما قلناه أولى، والله أعلم، فتأمل!

(٢١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص ٦٨١.

(٢٢) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٠، ص ٣١٣.

(٢٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٧. وقوله منسجم معنا في السياق، مختلف في الترتيب.

(٢٤) قلت: ولذلك أقسم الحق (تبارك وتعالى) بنوعين من النبات في فلسطين: التين والزيتون..، فكان ذلك إلماعاً وإلماحاً إلى الرسالتين..، والله أعلم.

(٢٥) راجع كلاً من: الزمخشري، **الكشاف**، ج٦، ص٤٠١؛ وابن جزي، **التسهيل**، ج٢، ص٤٩٤؛ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦؛ والأندلسي، **البحر المحيط**، ج٨، ص٤٨٦. وزعم القمي فيما نقله عنه الطباطبائي: أن التين: المدينة المنورة، والزيتون: بيت المقدس، وطور سينين: الكوفة، والبلد الأمين: مكة؛ راجع في ذلك: النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ والطباطبائي، **الميزان**، ج٢٠، ص٣٢١.

(٢٦) راجع: الصابوني، **قبس من نور القرآن**، ج١٦، ص ص٢٧٣- ٢٧٤.

(٢٧) راجع: الزمخشري، **الكشاف**، ج٦، ص٤٠٠؛ والرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص ص٢١٠-٢١١؛ والنسفي، **مدا رك التنزيل**، ج٢، ص٨١٨؛ والطبرسي، **مجمع البيان**، ج١٠، ص٣١٢؛ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦. والقوجوي، **حاشية الشيخ زاده**، ج٨، ص٦٣٠.

(٢٨) والتمر له نوى، وللزيتون نوى، وفي التين ب زور، وفي العنب بذور لمن تشغلهم التفاصيل.

(٢٩) حبنكة، **معارج التفكر**، ج٢، ص٤٠٢.

(٣٠) قلت: الأهم من عيسى في منبت التين والزيتون: أبو الأنبياء خليل الله: إبراهيم (عليه السلام).

(٣١) قلت: ونظر ابن القيم (رحمه الله) سليم بفضل الله؛ راجع محمد بن أبي بكر قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرنا ؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ج٥، ص ص٢٦٨- ٢٦٩.

(٣٢) محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، مع تتمة تلميذه: عطية محمد سالم، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٩، ص٣٢٨ ويشار إليه (الشنقيطي، أضواء البيان)؛ وممن رأى أن التين على الحقيقة كذلك القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٦.

(٣٣) راجع: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص ص٣٢٥- ٣٢٨.

(٣٤) ولا شك أنهما – التين والزيتون– لا غيرهما، لكن هل يكنى بهذا عن المكان أم أ ن اللفظ على الحقيقة، وانتهى؟ ، فلا داعي لكثرة حشد الشواهد؛ فقد ذكر الشيخ كل موارد كلمة زيتون في القرآن؛ ليستدل على أن الزيتون هو الزيتون، وأنا أقول به، ورحم الله الشيخ: عطية سالم، وألحقنا به في الصالحين . والجدير بالذكر أن سيداً (رحمه الله) قد صنع مثل صنيعه ؛ راجع في ذلك: سيد، **الظلال**، ج٦، ص٣٩٣٣.

(٣٥) راجع: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص ص٤٢٠- ٤٢٣.

(٣٦) أبعد سيد بهذا القول فيما أرى.

(٣٧) باختصار من: سيد، **الظلال**، ج٦، ص ص٣٩٣٢- ٣٩٣٣.

(٣٨) وتبعه فيه: الحسن وعكرمة ومجاهد وإبراهيم والكلبي، واختاره الطبري والقرطبي وغيرهما؛ راجع في ذلك: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط١، ج١٢، ص ص ٦٣١- ٦٣٢ ويشار إليه (الطبري، جامع البيان)؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٦؛ وابن عجيبة، **البحر المديد**، ج٨، ص٣٢٤؛ والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٩، ص٤٩٨؛ والخازن، **لباب التأويل**، ج٤، ص٤٤٤؛ والجوهري، **الجواهر**، ج٢٥، ص٢٠٩؛ والعمادي، **إرشاد**

العقل السليم، ج٦، ص٤٤٥؛ والمنصوري، **المقتطف**، ج٥، ص٥٢٥؛ والصابوني، **قبس من نور القرآن**، ج١٦، ص٢٧٠؛ والقنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص ص٢٩٩– ٣٠٠؛ والشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٢٥؛ والطباطبائي، **الميزان**، ج٢٠، ص٣١٩؛ والنيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ وابن العادل، **اللباب**، ج٢٠، ص ص٤٠٥– ٤٠٦.

(٣٩) وأصل قولهم رواية إسرائيلية نقلها النيسابوري، وذلك من غرائبه؛ راجع: النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٤٢٥؛ وعبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٣؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١٩٣؛ وعبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦م، ط١، ج٣٠، ص١٦١٥ ويشار إليه (الخطيب، التفسير القرآني للقرآن).

(٤٠) لاحظتم بالطبع أنه لم يستخدم تعبير: "الخصف" من ورق التين –على رأيه– ليستر عورته، وإنما استخدم لفظ: "يستظل"، كأنه يريد أن يتجنب الدخول في جو القصة؛ ليجعلها مقبولة أكثر !! أو ما لا أدريه !! وهو قطعاً يرجح أن الجنة هي أي بستان. ثم من قال إن الجنة حارة الشمس ليحتاج آدم معها إلى التظليل؟ !، وكذلك اجتنب – كما لاحظنا– التعبير بـ "آدم"، وعبر بالإنسان الأول – وأقول: على كل حال فإن الله (عز وجل) قال في قصة آدم (عليه السلام) –وأتجنب: "الإنسان الأول"–، قال: [إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى *وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى] (١١٨–١١٩: طه)، وعلى كل فإن حكاية ورق التين –وهو خشن بالمناسبة– حكاية إسرائيلية، وهي بالتالي منقوضة من أساسها، إن كان ثمة أساس لها.

(٤١) راجع: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج٣٠، ص١٦١٥.

(٤٢) قال محمد عبده: "والقسم به للتذكير بأمر نوح وما أهلك الله به أهل الفجور والفساد وأنجى المؤمنين الصالحين"؛ راجع: عبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٢. قلت: والأستاذ الإمام (رحمه الله) لا يتبناه، ولكنه يحاول تعليله. وهذا – في نظري – يتعارض مع النسق؛ إذ ما علاقة هلاك قوم برسائل أنبياء وأماكن بعثهم؟ !؛ وممن ذكر هذا القول: الطبري، **جامع البيان**، ج١٢، ص٦٣٢؛ وعبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي (ت ٥٤٦هـ/ ١١٥٢م)، **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ط١، ج٥، ص٤٩٩ ويشار إليه (ابن عطية، المحرر الوجيز)؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٥؛ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦؛ والرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص٢١١؛ والعز، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٤٦٦؛ والخازن، **لباب التأويل**، ج٤، ص٤٤٥؛ والقنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٠٠؛ وابن العادل، **اللباب**، ج٢٠، ص٤٠٦؛ والعمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٤٤٦؛ والجمل، **الفتوحات الإلهية**، ج٨، ص٣٥٥؛ والنيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ والطبرسي، **مجمع البيان**، ج١٠، ص٣١٣.

(٤٣) وأصله رواية عن كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعكرمة والحارث، وممن أشار إليه: عبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٢؛ الطبري، **جامع البيان**، ج١٢، ص٦٣٢؛ وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٤٩٩؛ والعز، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٤٦٦؛ والرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص٢١١؛ والقنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٢٩٩؛ والبغوي، **معالم التنزيل**، ج٨، ص٤٧١؛ والإيجي، **جامع البيان**، ج٤، ص٥٠٨؛ والشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٢٥؛ والنيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ والخازن، **لباب التأويل**، ج٤، ص٤٤٥؛ والصاوي، **الحاشية على الجلالين**، ج٦، ص٢٩٧؛ والجمل، **الفتوحات الإلهية**، ج٨، ص٣٥٥؛ وابن العادل، **اللباب**، ج٢٠، ص٤٠٦؛ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦؛ والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٩، ص٤٩٨؛ والماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص٣٠٠؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٥.

(٤٤) ينسب هذا القول إلى الربيع، وقد ذكره كل من : الخازن، **لباب التأويل** ، ج٤، ص٤٤٤؛ والواحدي ، **الوجيز**، ج٢، ص١٢١٤؛ والثعالبي، **الجواهر الحسان**، ج٣، ص٤٩٩؛ وعبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٢؛ والماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص٣٠٠؛ والجمل، **الفتوحات الإلهية** ، ج٨، ص٣٥٦؛ والعمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٤٤٦؛ والنيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ والقوجوي، **حاشية زاده على البيضاوي**، ج٨، ص٦٣٠؛ والخفاجي، **حاشية الشهاب**، ج٩، ص٥٢١؛ والآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٠، ص٣١١؛ والقرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٥؛ والزمخشري، **الكشاف**، ج٦، ص٤٠١؛ والرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص٢٢١.

(٤٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٤٢١.

(٤٦) وممن ذكر هذا القول: الآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٠، ص٣١١؛ والطبرسي، **مجمع البيان**، ج١٠، ص٣١٢؛ والقنوجي، **مجمع البيان**، ج١٥، ص ص٢٩٩– ٣٠٠؛ والنسفي، **مدارك التأويل**، ج٢، ص٨١٨؛ والواحدي، **الوسيط**، ج٤، ص٥٢٣؛ والبغوي، **معالم التنزيل**، ج٨، ص٤٧١؛ والإيجي، **جامع البيان**، ج٤، ص٥٠٨؛ والأندلسي، **البحر المحيط**، ج٨، ص٤٨٥؛ والطباطبائي، **الميزان** ، ج٢٠، ص٣١٩؛ والسمرقندي، **بحر العلوم** ، ج٣، ص٤٩١؛ والطبري، **جامع البيان** ، ج١٢، ص٦٣٢؛ والسمعاني، **تفسير القرآن** ، ج٦، ص٣٥٣؛ وابن العادل، **اللباب** ، ج٢٠، ص٤٠٦؛ وابن الجوزي، **زاد المسير** ، ص١٥٦٦. وقد بلغت الأقوال التي فسرت التين والزيتون بالجبال قريباً من عشرة أقوال من مجموع ما قيل في تفسير النص الكريم من تفاسير وتأويل وأقاويل، لا نحتاج معها في هذا المقام إلى التفاصيل
والخوض في إعادة ما قيل؛ خشية التطويل.

(٤٧) راجع: بهجت عبد الواحد الشيخلي، **بلاغة القرآن في الإعجاز : إعراباً وتفسيراً بإيجاز** ، عمّان، دنديس، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ط١، ج١٠، ص٦٤٩ ويشار إليه (الشيخلي، بلاغة القرآن).

(٤٨) حبنكة، **معارج التفكر**، ج٢، ص ص٤٠٠– ٤٠١.

(٤٩) ابن تيمية، **الجواب الصحيح**، ج٥، ص٢٠٤.

(٥٠) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٠، ص٣١٣.

(٥١) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص ص٣٢٥– ٣٢٦.

(٥٢) الصابوني، **قبس من نور القرآن**، ج١٦، ص٢٧١.

(٥٣) راجع : الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص٢١١؛ والطباطبائي، **الميزان** ، ج٢٠، ص٣٢١؛ والنيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ والآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٠، ص٣١٢؛ والخفاجي، **حاشية الشهاب**، ج٩، ص٥٢٢؛ وعبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٢.

(٥٤) ذكر هذا القول الماوردي منسوباً إلى ابن الأنباري وضعّفه واستنكره ، وقد نقله عنه الزمخشري دون تعليق بالرفض أو القبول، بل جاء في سياق يوحي بالقبول، وتلقفه عنه من جاء بعده دون تعليق، راجع : الماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص٣٠٠؛ والزمخشري، **الكشاف**، ج٦، ص٤٠١؛ والعز، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٤٦٦؛ والرازي، **التفسير الكبير** ، ج٣٢، ص٢١١؛ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦؛ والجمل، **الفتوحات الإلهية** ، ج٨، ص٣٥٦؛ والسمعاني، **تفسير القرآن** ، ج٢٦، ص٢٥٦؛ وعبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٢.

(٥٥) القنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٠٠.

(٥٦) وممن ذكر هذا القول : ابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦؛ والرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص٢١١؛ والميبدي، **كشف الأسرار**، ج١٠، ص٥٤٢؛ وابن العادل، **اللباب**، ج٢٠، ص٢٠٦؛ والعمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٤٤٦؛ والنيسابوري، **غرائب القرآن**، ج٦، ص٥٢٥؛ والآلوسي، **روح المعاني** ، ج٣٠، ص٣١٢؛ والبغوي، **معالم التنزيل**، ج٨، ص٤٧١؛ والجمل، **الفتوحات الإلهية**، ج٨، ص٣٥٦؛ والماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص٣٠١؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٥؛ والعز، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٤٦٦.

(٥٧) الميداني، **كشف الأسرار**، ج١٠، ص٥٤٢.

(٥٨) القنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٠٠.

(٥٩) بتصرف من : الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٢٨؛ وفي: القنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٠٠ أن الزيتون هو مسجد إيليا على قول.

(٦٠) راجع : القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٩، ص٤٩٩؛ وللأسف لم أعثر على كتاب الذخيرة لأوثق منه.

(٦١) إشارة إلى قوله (تعالى): [وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين] (٢٠: المؤمنون).

(٦٢) راجع : الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج٣٠، ص١٦١٥.

(٦٣) ومن أعجب الأقوال ما تناقلته مدرسة المنار عن الأستاذ الإمام من أن القسم بالزيتون إشارة إلى الفصل الثاني من حياة الإنسان، من خلال رواية إسرائيلية عن قصة نوح (عليه السلام) م ع غصن الزيتون، وهذا لا يثبت لدينا، ولا نقبله من أمثالهم؛ راجع : عبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٢؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١٩٤؛ والخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج٣٠، ص١٦١٥.

(٦٤) راجع في ذلك ما يلي: الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢، ص ص٢١١– ٢١٢؛ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ص١٥٦٦؛ والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٩، ص٥٠١؛ والميداني، **كشف الأسرار**، ج١٠، ص٥٤٢؛ وابن عجيبة، **البحر المديد** ، ج٨، ص٣٢٥؛ والمنصوري، **المقتطف** ، ج٥، ص ص٥٢٥– ٥٦٧؛ والأندلسي، **البحر المحيط**، ج٨، ص٤٨٦؛ والشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٢٩؛ والعمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٤٤٦.

(٦٥) وممن ركز على الهيئة والشكل واعتدال القامة وما إليه: الطبري؛ إذ قال: "أعدل خلق وأحسن صورة"، وأكده حين فسر أسفل سافلين بالهرم . وقال ابن كثير : "خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، منتصب القامة، سوي الأعضاء" ثم قال : "رده إلى النار بعد النضارة "، وقال الشيخ زاده : "تعديل شكله وصورته وتسوية أعضائه "؛ راجع في ذلك : الطبري، **جامع البيان**، ج١٢، ص ص٦٣٥– ٦٣٩؛ وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٦٨١؛ والقوجوي، **حاشية زادة على البيضاوي**، ج٨، ص٦٣١.

وممن ركز على الفطرة والنفس: الشيخ عطية سالم؛ فبعد أن ذكر الحس والمعنى، رجح النفس فقال : "أما الجانب المعنوي، فهو : الجانب الإنساني، وهو المتقدم في قوله (تعالى): [ونفس وما سواها](٧: الشمس)؛ فالنفس البشرية هي مناط التكليف، الجانب الذي كان به الإنسان إنساناً، وبهما كان خلقه في أحسن تقويم، ونال بذلك أعلى درجات التكريم: [ولقد كرمنا بني آدم] (٧٠: الإسراء)، راجع : الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٢٠.

– وممن جمع "الحس والمعنى"، "والصورة والنفس"، وقال عبارة توهمهما وتخلط بينهما : محمد عبده وعطية سالم والصابوني والشوكاني والمراغي، وسرد عبارتهم يطول، فأكتفي بقول المراغي: "أحسن صورة، مديد القامة، حسن البزة، يأكل بيده، وخصه بالعقل والتمييز"؛ راجع: المراغي، **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١٩٥؛ والشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص٥٤٦؛ والقنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٠٢؛ والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص١٤١٧؛ وعبده ، **تفسير جزء عم**، ص١٢٤؛ والشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٣٠.

– وممن قال بأن معنى "أحسن تقويم ": منتصب القامة؛ الأندلسي، **البحر المحيط**، ج٨، ص٤٨٥؛ والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٨، ص٤٦٨؛ والصابوني، **قبس من نور القرآن** ، ج١٦؛ ص ص٢٧١– ٢٧٢؛ وحبنكة، **معارج التفكر** ، ج٢، ص ص٣٩٧– ٣٩٨؛ وابن العا دل، **اللباب**، ج٢٠، ص٤٠٨.

– وأما قولهم أحسن فطرة، أو كما فسرها بعضهم بقوله: "أحسن تقويم روحاً وعقلاً، وأسفل سافلين : نفساً وهوى"؛ فهذه الأشياء تجتمع في وقت واحد، ويغلب بعضها على بعض في أوقات، وإنما الصواب أن يقال : الفطرة ثم الانتكاس عنها إلى الكفر، وبالتالي يكون الراجح – في

رأيي– في معنى الآية الكريمة ومن خلال النسق والسياق: لقد خلقنا الإنسان على فطرة الدين؛ إذ النص الكريم إشارة إلى نفخة الروح التي يكون بها الإنسان إنساناً، ويؤكد ذلك قوله: [ثم رددناه أسفل سافلين]، وهذا لا يكون إلا بالانحراف عن فطرة الدين، أما قولهم بأنه الهرم وأرذل العمر، وأن الإيمان يحفظ صاحبه منهما، فهذا ينقضه الواقع.

(٦٦) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٣٠.

(٦٧) راجع : ابن العادل، **اللباب** ، ج٢٠، ص٤٠٨؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٧٧؛ والماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص٣٠٢؛ والرازي، **التفسير ال كبير**، ج٣٢، ص٢١٢؛ والطبري، **جامع البيان** ، ج١٢، ص ص٦٣٥– ٦٣٧؛ وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٥٠٠؛ والشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص ص٥٤٦– ٥٤٧؛ وابن جزي، **التسهيل**، ج٢، ص ص٤٩٤– ٤٩٥؛ والعز، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٤٦٧.

(٦٨) الطبري، **جامع البيان** ، ج١٢، ص ص٦٣٥– ٦٣٩؛ وابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤، ص٦٥١؛ والقوجوي، **حاشية زادة على البيضاوي**، ج٨، ص٦٣١؛ والأندلسي، **البحر المحيط**، ج٨، ص٤٨٥؛ والبقاعي، **نظم الدرر**، ج٨، ص٤٦٨؛ والصابوني، **قبس من نور القرآن**، ج١٦، ص ص٢٧١– ٢٧٢؛ وحبنكة، **معارج التفكر**، ج٢، ص ص٣٩٧– ٣٩٨؛ وابن العادل، **اللباب**، ج٢٠، ص٤٠٨.

(٦٩) راجع : الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص٣٣٠؛ والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص١٤١٧؛ وعبده، **تفسير جزء عم**، ص١٢٤؛ والقنوجي، **فتح البيان**، ج١٥، ص٣٠٢؛ والشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص٥٤٦؛ والمراغي، **تفسير المراغي**، ج٣٠، ص١٩٥.

(٧٠) راجع : القوجوي، **حاشية زادة على البيضاوي**، ج٨، ص ٦٣٢؛ والصاوي، **الحاشية على الجلالين**، ج٦، ص٢٩٨.

(٧١) الجمل، **الفتوحات الإلهية**، ج٨، ص ٣٥٧.

(٧٢) الزمخشري، الكشاف، ج٦، ص ٤٠١–٤٠٢.

(٧٣) **المصدر السابق ذاته**، ج٦، ص ٤٠٢.

(٧٤) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩، ص ٣٣٤.

(٧٥) **المصدر السابق ذاته**، ج٩، ص٣٣٥–٣٣٦.

(٧٦) راجع: ابن عجيبة، **البحر المديد**، ج٨، ص٣٢٥.

(٧٧) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٥٠٠.

(٧٨) فائدة: قال المرحوم الأستاذ محمود شاكر: "ولفظ الدين" من الألفاظ التي لها في الذهن صورة جامعة، أو ينبغي أن تكون لها صورة جامعة، فواجب أن تعرف تمام المعرفة حقيقة معنى "الدين"، وما تراكم عليه من المعاني الحادثة المتجددة، وأن نحاول محاولة صادقة تؤدي بنا إلى بلوغ علة الروابط التي تجمع هذه المعاني، وتشد قديم معانيه وحديثها بعضها إلى بعض شداً محكماً، حتى يدل هذا اللفظ على معناه المركب، وهو المعنى الذي له صورة جامعة في الذهن يدركها عند سماعه ". محمود شاكر (ت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) **أباطيل وأسماء**، القاهرة، مطبعة المدني، ط٢، ١٩٧٣م، ص ص ٣١٨–٣١٩.